أثر الوقف على نهضة التعليم الشرعي في التاريخ الإسلامي

د. خالد بن هدوب المهيدب
أستاذ مشارك بقسم الدراسات الإسلامية، جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز، السعودية
Hadoob2006@hotmail.com

ملخص البحث

يعد الوقف الخيري من الروافد التي أسهمت في دعم مؤسسات المجتمع بما فيها المؤسسات التعليمية وعلى وجه الخصوص مؤسسات التعليم الديني، فالوقف عبر تاريخ المسلمين خدم كافة طبقات المجتمع بل تعدى ذلك إلى عالم الحيوان. ويأتي هذا البحث المعنون بـ"أثر الوقف على نهضة التعليم الشرعي في التاريخ الإسلامي" لتسليط الضوء على أثر الوقف في نهوض التعليم الشرعي عبر تاريخ الأمة الإسلامية، وقسمت البحث إلى مقدمة تشمل التعريف بالوقف وأهميته وأربع مباحث (الأول: اهتمام الإسلام بالعلم، الثاني: أهمية الوقف في رفع مستوى التعليم، والثالث: أثر الوقف في إنشاء مؤسسات التعليم الشرعي، الرابع: نماذج من مدارس التعليم الشرعي الوقفية وخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات).

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على نبينا محمد عليه وعلى آله وصحابته أفضل الصلاة وأتم التسليم. أما بعد،

فالوقف الخيري يعد من الروافد التي أسهمت في دعم مؤسسات المجتمع بما فيها المؤسسات التعليمية وعلى وجه الخصوص مؤسسات التعليم الديني، فالوقف عبر تاريخ المسلمين خدم كافة طبقات المجتمع بل تعدى ذلك إلى عالم الحيوان.

ويأتي هذا البحث المعنون بـ"أثر الوقف على نهضة التعليم الشرعي في التاريخ الإسلامي" لتسليط الضوء على أثر الوقف في نهوض التعليم الشرعي عبر تاريخ الأمة الإسلامية، وقسمت البحث إلى مقدمة تشمل التعريف بالوقف وأهميته وأربع مباحث(الأول: اهتمام الإسلام بالعلم، الثاني:أهمية الوقف في رفع مستوى التعليم، والثالث:أثر الوقف في إنشاء مؤسسات التعليم الشرعي، الرابع:نماذج من مدارس التعليم الشرعي الوقفية وخاتمة تضمنت أهم النتائج والتوصيات).

تعريف الوقف: أصل الوقف: الحبس والمنع، والوقف مصدر وقف، والجمع أوقاف يقال: وقفت الدار وقفًا حبستها في سبيل الله[1].

فالوقف: تحبيس في الابتداء وتسبيل للمنفعة على الدوام.

الوقف في الاصطلاح الشرعي: "تحبيس الأصل وتسبيل المنفعة" [2]، وهذا التعريف مأخوذ من قول النبي ﷺ لعمر بن الخطاب ﷺ (احبس أصلها وسبل ثمرتها) [3].

أهمية الوقف:

"يعد الوقف من أهم المؤسسات التي كان لها الأثر الفاعل في تنمية التعليم، سواءً داخل المساجد، أو في المدارس أو في المكتبات، أو غيرها من المؤسسات الخيرية الأخرى، حيث رعت الأموال الوقفية عملية التعليم من مرحلة الطفولة حتى مرحلة الدراسات العليا المتخصصة فأدى ذلك إلى نقل المسلمين من حياة بسيطة إلى حياة امتازت بالرخاء، بينما بقيت كثير من المجتمعات في ركود لفترة طويلة، وإن ما وصلت إليه الحضارة الإسلامية من تقدم كله تحقق بفضل الله تعالى ثم جهود المحسنين الذين أوقفوا من أموالهم على التعليم.

فلم يكن هناك وزارة للتعليم أو تخصيصات في ميزانية الدولة، وإنما كانت الدولة تعتمد مبدأ الزكاة ومبدأ الصدقات بصورة عامة وتشجع المسلمين على أعمال البر، استناداً إلى تعاليم الدين الإسلامي، وتقوم الدولة بالإشراف على الأوقاف ومراقبة تنفيذ الوقفيات.

لقد شملت الأموال الموقوفة على التعليم كثيراً من الجوانب المختلفة التي تخدم عملية التعليم والتعلم، من أهم هذه الجوانب: إنشاء المدارس وتجهيزها وتوفير العاملين فيها من معلمين وغيرهم، بالإضافة إلى إنشاء المكتبات وتجهيزها وبناء المساجد والكتاتيب، ونالت الجوامع والمساجد اهتماماً كبيراً خلال مراحل التاريخ الإسلامي لإقامة الشعائر التعبدية فيها، بالإضافة إلى استخدام بعضها للتعليم.

وقد شجع الوقف المتعلمين على الانخراط في التعليم والاستفادة من التسهيلات التي وفرت في المساجد والمدارس والمكتبات، من خلال تكفله بتأمين احتياجات المتعلمين من اللوازم الدراسية المختلفة؛ حيث خصصت بعض الأوقاف لتعليم الطلاب والصرف عليهم مجاناً، وإسكانهم في

(1) التعريفات–علي بن محمد الجرجاني–ص 328 –. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي– للعلامة أحمد المقرى الفيومي– مادة وقف 669/2–ط1324هـ وزارة المعارف المصرية.

(2) المقنع في فقه إمام السنة أحمد بن حنبل الشيباني– موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي–307/2 بدون تاريخ طبع – نشر المؤسسة السعيدية –الرياض –السعودية.

(3) صحيح ابن حبان 262/11.

الأقسام الداخلية وقد شجع ذلك طلاب العلم على الرحيل لطلب العلم في مختلف الأصقاع" [1].

وأدى ازدهار الأوقاف بدوره إلى تقوية الشعور الديني واستمرار تدفق المشاعر الدينية. إن أهمية الأحباس المتعلقة بالمساجد تكمن في الدور الهام الذي تضطلع به في مجتمع الاستخلاف، فالمسجد هو مركز إشعاع أساس للقيم والمبادئ الإسلامية، فهو السبيل إلى تحقيق التنمية الدينية لجميع أفراد المجتمع، وتأكيد هويتهم الإسلامية والحفاظ عليها، وهو المدرسة التي يتم من خلالها تنمية الحياة الثقافية والتعليمية وإعداد الدعاة، وهو ملتقى المسلمين في أعيادهم ومناسباتهم الدينية والاجتماعية"[2].

المبحث الأول :اهتمام الإسلام بالعلم

اهتم الإسلام بالعلم اهتماماً بالغاً "فإذا قرأت القرآن وجدت فيه كما جاء في "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ما يلي:-

كلمة "علم" نكرة ومعرفة ذكرت (80) ثمانين مرة، أما مشتقاتها: علم ويعلم ويعلمون، وعلم ويعلم وعليم وعلاَّم...الخ ذُكرت مئات ومئات من المرات، كلمة"عقل" لم ترد اسماً أو مصدراً في القرآن الكريم وورد بديلاً عنها كلمة "الألباب" وتكررت (16) ست عشرة مرة، وكلمة "النهى" بمعنى العقول أيضاً مرتين.

أما مشتقات عقل فقد تكررت في القرآن الكريم (49) تسعاً وأربعين مرة، وكذلك مشتقات "فكر" (18) ثماني عشر مرة ومشتقات "فقه" (21) إحدى وعشرين مرة وكلمة "حكمة" (20) عشرين مرة وكلمة "برهان" مضافة وغير مضافة (7) سبع مرات.

وهذا عدا كلمات أخرى لها صلة بالعلم والفكر مثل "انظروا" و "ينظروا" وقد تكاثرت أحاديث النبي ﷺ وتتابعت بعد آيات القرآن الكريم في بيان فضل العلم ومنزلة العلماء عند الله وعند الناس في الدنيا والآخرة، ولا ريب أن أولى العلوم بذلك هو علم الدين، يقول ﷺ: (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين...) [3].

فهذا الحديث ومثله كثير وكثير بجوار ما جاء في القرآن الكريم من آيات غزيرة وفيرة جعلت أصحاب رسول الله ﷺ ومن تبعهم بإحسان على مر القرون يشيدون بشأن العلم وينوهون بقدر العلماء؛ تحريضاً على طلب العلم والزيادة منه، وتحذيراً من الجهل"[4].

إن منفعة العلم ضرورية للإنسان، سواءً ما كان مصدره الوحي، أو ما كان مصدره الكون قال

(1) انظر: دور الوقف في العملية التعليمية د. عبد الله بن عبد العزيز المعيلي – ص16-21 – ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية – شوال 1420هـ-مكة المكرمة.

(2) انظر: أثر الوقف في تنمية المجتمع- د.نعمت عبد اللطيف مشهور –ص 77-80.

(3) صحيح البخاري – كتاب العلم- باب:من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين ح رقم 71 ص 39

(4) انظر: الرسول والعلم- د. يوسف القرضاوي ص3- 11-ط7-1417هـ-1997م مؤسسة الرسالة – بيروت – لبنان.

ابن أبي العز: "قد يكون علم من غير الرسول ﷺ، لكن في الأمور الدنيوية؛ مثل الطب والحساب والفلاحة"(1).

وبعد فهذه إشارة موجزة إلى فضل العلم والعلماء، واهتمام الإسلام بالعلم والحض على تعلمه وبذل الوقت والمال في سبيل تحصيله، خاصة العلم الشرعي الذي ينفع الإنسان في دنياه وأخراه، ولعل ما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية من نصوص، تحث على التعلم والتفكر ومدارسة العلم كل ذلك دفعًا للمحسنين من المسلمين أن ينفقوا أموالهم لأجل تعليم العلم، مما كان له أثر واضح في حياة الفرد والمجتمع المسلم وبروز الكثير من العلماء والمفكرين في مختلف العلوم.

المبحث الثاني: أهمية الوقف في رفع مستوى التعليم

للوقف أهمية كبيرة في كل زمان ومكان ولا يستطيع أحد أن ينكر ما قدمه الوقف من خدمات اجتماعية جليلة للمجتمعات الإنسانية على مر العصور.

إن ما قدمه الوقف من خدمات لا ينحصر في نطاق معين أو إطار محدد بل – في الغالب– كافة مناحي الحياة الاجتماعية، ومن ثم لم يقتصر على مساعدة الفقراء والمحتاجين أو إنشاء المستشفيات لعلاج المرضى وتقديم كل ما يلزم في هذه المجالات المذكورة. بل تعداه إلى ما هو أشمل من ذلك كما سيأتي معنا.

"لقد كان للوقف اهتمام دائم بالمؤسسات التعليمية، حيث كانت الدروس وحِلَق العلم، وحلقات تحفيظ القرآن الكريم في العصور الأولى يتم تمويلها من الأوقاف، ولم يقتصر الوقف على دعم المؤسسات التعليمية وتسييرها فقط، بل تطور أسلوب دعمه للعملية التعليمية ليواكب التغير في الحاجات التعليمية"(2).

إن الوقف يعد من أهم المؤسسات التي أدت دوراً رائداً في تنمية التعليم وفي دعم مسيرة التقدم العلمي عبر تاريخ المجتمعات الإسلامية ولقد شملت الأموال الموقوفة على التعليم كثيراً من الجوانب المختلفة التي تخدم عملية التعليم والتعلم.

ومن أهم هذه الجوانب إنشاء المدارس والكتاتيب ودور العلم وتجهيزها وتوفير الطاقات المؤهلة من المعلمين والمربين والدعاة فيها.

وكان نظام الأوقاف هو العمود الفقري للمدارس والمؤسسات التعليمية الأخرى كالمعهد والزوايا والربط والخوانق والمكتبات كما أن الوقف كان هو العمود الفقري لمؤسسات الضمان

(1) شرح العقيدة الطحاوية– علي بن علي بن أبي العز–ص23–تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي والأرنؤوط –ط2– 1413هـ – مؤسسة الرسالة – بيروت.

(2) إسهام الوقف في العمل الأهلي والتنمية الاجتماعية د. فؤاد عبد الله العمر ص 28.

الاجتماعي والمؤسسات الصحية كلها.

إن الأساس في توفير الأموال اللازمة إنما كان دائماً العقارات التي وقفها المحسنون، ومن هنا يتبين لنا الدور العظيم للأوقاف في نهضة المؤسسات التعليمية والاجتماعية والصحية، وبلغ عدد المدارس في بيت المقدس من القرن 5-12 الهجري حوالي 70 مدرسة كلها مدارس موقوفة تقدم التعليم مجاناً من ريع أوقافها بالإضافة إلى مرتبات ومخصصات للطلاب"[1].

إن الحركة العلمية كانت على مر العصور الإسلامية، حركة دائبة، وكان العمل فيها أشبه بالعمل في خلية النحل، ويعود ذلك للاهتمام بالوقف على التعليم من خلال إقامة المدارس وتجهيزها وبناء المساجد والجوامع وتهيئتها مما أسهم في نشر العلم وظهور مصنفات علمية وتراث فكري فريد.

"ويسهم الوقف عن طريق الحلق والمجالس المختلفة المنتشرة، والأوقاف المرصدة لذلك بتزويد المجتمع بطاقة جديدة من العلماء، وطلبة العلم وفتح أبواب جديدة لمجالات التصنيف وضبط العلوم، إلى جانب استيعاب المدارس الوقفية، لتؤدي كثيراً من أهدافها من خلال رسالة المسجد، وفي إطار الوقوف والأحباس المرصدة على المساجد، وتعزيز رسالة المسجد في قضايا الفكر والعلوم الشاملة، وتهذيب الجوانب السلوكية للأفراد، يظهر شكل آخر للوقوف، وهو المعنيّ بحفظ السنة والتراث الخالد الذي تركه رسول الله ﷺ.

فنشأ الوقف لغايات الحديث النبوي وازدادت الأوقاف على المحدثين حتى بات الاهتمام السائد في التاريخ الإسلامي في قرونه الأولى لا يتناول أي قضية أو أي مسألة من مسائل المجتمع بقدر ما يتناول شؤون الحديث"[2] ومن النماذج التي توضح ذلك ما أورده ابن كثير -رحمه الله- في حوادث عام 631هـ "فيها كمل بناء المدرسة المستنصرية ببغداد، ووقفت على المذاهب الأربعة من كل طائفة اثنين وستين فقيهاً وأربعة معيدين، ومدرسًا لكل مذهب، وشيخ حديث، وقارئين وعشرة مستمعين وشيخ طب، وعشرة من المسلمين يشتغلون بعلم الطب ومكتبة للأيتام، ووقفت خزائن كتب لم يسمع بمثلها"[3].

ولا شك أن الوقف على المساجد وعلى السنة النبوية المطهرة، بدعم رجال الحديث الذين يعملون في خدمة السنة وعلومها كل ذلك أدى ويؤدي خدمات جليلة للمجتمع، ولقد أدلى العلماء بدلوهم في الوقف في القديم والحديث، حيث أوقفوا جزءاً من أموالهم على خدمة العلم والطلاب المشتغلين به.

---

(1) انظر: مؤسسة الأوقاف ومدارس بيت المقدس د. كامل جميل العلي ص (93-111) بدون رقم وتاريخ طبع- ندوة مؤسسة الأوقاف في العالم العربي والإسلامي.

(2) انظر: الوقف والعمل الأهلي في المجتمع الإسلامي المعاصر- د. ياسر الحوارني-ص30-34.

(3) انظر: البداية والنهاية لابن كثير- إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي أبو الفداء 139/13 مكتبة المعارف - بيروت.

وبعد هذا العرض الموجز والمركز لأهمية الوقف بالنسبة للتعليم على مر العصور يتأكد بصورة جازمة أن التعليم في المجتمعات الإسلامية، بحاجة ماسة للأوقاف كي يسهم في بناء عقول أبناء المسلمين، وإعداد العلماء المؤهلين ويشجع على البحوث العلمية التي تهدف إلى تنقية العقيدة وتصحيحها، وتحصين المسلمين من غوائل الغزو الفكري الذي يهدد المسلمين خصوصاً في هذه الفترة الحرجة من تاريخ الأمة الإسلامية في ظل تكالب أعدائها ضدها وسعيهم لاستئصال شأفة المسلمين وتغييبهم عن دينهم وتسخير كافة الإمكانات المادية والتقنيات المتاحة لتحقيق مآربهم.

فالحاجة ملحة لاستعادة الدور الريادي المفقود للوقف في المجتمعات الإسلامية.

المبحث الثالث : أثر الوقف في إنشاء مؤسسات التعليم الشرعي

"لقد كان الوقف يمثل بؤرة النهضة العلمية والفكرية على مدار القرون؛ حيث أسهم الواقفون في مساندة المسيرة التعليمية، وذلك عن طريق تشييد المدارس والإنفاق عليها والإفادة من المساجد في التعليم، والعناية بتوفير مصادر المعلومات عن طريق وقف الكتب على المدارس وجهات التعليم المختلفة" (1).

"فكانت هناك حركة علمية دائبة في حياة المسلمين تمثلت في إنشاء المكتبات العامة والخاصة وتأليف الموسوعات العلمية في العقيدة والفقه والطب والكيمياء والفيزياء والرياضيات والأدب، وهذا ما جعل ظاهرة التعليم والثقافة شائعة لدى أفراد المجتمع المسلم.

إن الرقي الذي وصلت إليه الأمة الإسلامية في وقت كان الآخرون يعيشون عصر الجهل والفوضى والتسلط والاستبداد، لم تكن لتصل إليه إلا بانتشار العلم والتعلم وتهيئة الفرص المختلفة لطلاب العلم والتشجيع الدائم على النهل من مناهل المعرفة التي ساهمت في تأهيل الدعاة، ويُعد الوقف من أهم المؤسسات التي كان لها الدور الفاعل في تنمية التعليم سواءً داخل المساجد أو في المدارس أو في المكتبات أو في غيرها من المؤسسات الخيرية الأخرى" (2).

"لقد قامت نهضة علمية وثّابة رعتها مؤسسات تعليمية كبيرة وكانت تلك المؤسسات في ساحات المساجد، كما أُنشئت في القرن الخامس الهجري – الحادي عشر الميلادي – المدارس التي غطت مراحل التعليم المختلفة.

ولعل أول وقف في الإسلام هو المسجد الذي بناه رسول الله ﷺ عند دخوله المدينة وهو مسجد قباء، ولقد كان المسجد هو معهد الدعوة الأساس؛ ففي وقت مبكر شرع المسلمون في تنظيم

(1) أثر الوقف في تشييد بنية الحضارة الإسلامية د.محمد العيد الخطراوي – ص47 – بحوث ندوة المكتبات الوقفية في المملكة العربية السعودية- محرم 1420هـ- المدينة المنورة.

(2) دور الوقف في العملية التعليمية- د. عبد الله بن عبد العزيز المعيلي-ص16 ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية – شوال 1420هـ-مكة المكرمة.

حلقات في المساجد لتعليم الصغار القرآن الكريم والقراءة والكتابة" (1).

"إن تلاوة كتاب الله تعالى وحفظه، أول ما تصرف إليه الهمم؛ لأن ذلك من أعظم الغايات فطلب العلم درجات ومناقل ورتب، لا ينبغي تعديها ومن تعداها جملة فقد تعدى سبيل السلف رحمهم الله ومن تعدى سبيلهم عامداً ضل، ومن تعداه مجتهداً زل، فأول العلم حفظ كتاب الله ﷻ وتفهمه" (2).

"وكان السلف رحمهم الله لا يعلمون الحديث والفقه إلا لمن يحفظ القرآن"(3).

والمتتبع للتاريخ الإسلامي يدرك عظمة العناية المولاة لإنشاء المدارس الوقفية ودور العلم التي انتشرت في أرجاء العالم الإسلامي، حتى القرى النائية لم تخل منها فما بالك بالمدن الكبيرة التي كانت تعج بالمدارس المتنوعة؛ كدور القرآن الكريم والحديث ومدارس لتدريس المذاهب الفقهية وأخرى للطب والصيدلة.

وقد اتسع نطاقها بسبب إقبال أهل الخير في الوقف عليها وتسابقهم إلى تقديم العون لها طلباً لمرضاة الله تعالى حتى شملت مجالات متعددة في الحياة، ففي المجال الديني والتعليمي أُنشئت:-

1- المساجد.

2- الربط (الأربطة).

3- الخوانق والزوايا والخلاوي.

4- الكتاتيب.

5- المدارس.

6- المكتبات العلمية" (4)

إن الدعم السخي الذي حظيت به مؤسسات التعليم الديني أسهم إسهاماً كبيراً في دعم مسيرة الدعوة الإسلامية وذلك من خلال إعداد الدعاة وتأهيلهم التأهيل العلمي الجيد الذي مكنّهم من أداء رسالتهم في الدعوة إلى الله تعالى، هذا فضلاً عن بروز عدد كبير من العلماء الذين تلقوا تعليمهم في تلك المؤسسات التعليمية التي تلقى الدعم الشامل والكبير من الوقف.

"في صدر الإسلام لم يكن المدرسون، يتقاضون راتباً لقاء تدريسهم. فكان جل أهل العلم يميل إلى الزهد في تكاليف الحياة، لأن جل هدفه ينحصر في نشر العلم أو الرحلة في طلبه، وكان بعضهم

(1) تسخير البحث العلمي في خدمة الأوقاف وتطويرها د.ناصر بن سعد الرشيد ص11 - ندوة مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية- شوال 1420هـ مكة المكرمة.

(2) جامع بيان العلم وفضله – أبو عمر يوسف بن عبد البر 204/1-ط2- 1968م المكتبة السلفية المدينة المنورة.

(3) المجموع- شرح المهذب – الإمام النووي – 69/1 – تحقيق- محمد نجيب المطيعي بدون تاريخ.

(4) أثر الوقف في الجانب التوجيهي للمجتمعات- د.صالح بن غانم السدلان –ص26-27 ندوة"مكانة الوقف وأثره في الدعوة والتنمية"شوال 1420هـ- مكة المكرمة.

يؤمن حاجاته المعيشية عن طريق امتهان عمل من الأعمال، مثل أبي حنيفة الذي كان يعمل بزازاً، وقد عُرف الكثير من أهل العلم بمهنته مثل: الزَّيات والزَّجاج والبزّار والغّزال والخيّاط والقوّاس والنبّال والنَّحاس والصبَّاغ والباقلاني والحبَّاب والخشّاب والصيرفي والنجَّار.

وكان عبد الله بن المبارك –رحمه الله– يمارس التجارة بالرغم من زهده واعتبر من كبار التجار في عصره وكان يصل ببره العديد من العلماء، وقد عوتب فيما يفرقه من المال في البلدان دون بلده فقال: إني أعرف مكان قوم لهم فضل وصدق، طلبوا الحديث فأحسنوا طلبه لحاجة الناس إليهم احتاجوا، فإن تركناهم ضاع علمهم، وإن أعّناهم بثوا العلم، لأمة محمد ﷺ لا أعلم بعد النبوة أفضل من بث العلم وكان يشمل الفضيل بن عياض ببره فيقبل منه"[1].

"ولكن وبمرور الزمن وكثرة المدارس وابتداء إيقاف الأوقاف عليها كل ذلك جعل للمدرسين رواتب شهرية، وكان رؤساء الكليات بالجامعة من خيرة علماء المسلمين وأكثرهم سمعة، فاشتهرت مدارس كثيرة بشهرة من درس فيها، وكان هؤلاء العلماء يتسلمون رواتبهم من الأموال الموقوفة على هذه المدارس التي يدرسون بها، فالإمام النووي، وتقي الدين السبكي، وعماد الدين بن كثير، كانوا ممن يدرسون في دار الحديث بدمشق.

أما حجة الإسلام الغزالي، وإمام الحرمين الجويني، والخطيب التبريزي، والفيروزآبادي وغيرهم فكانوا أصحاب كراسي وعمداء للمدرسة النظامية في بغداد.

أما ابن خلدون فكان ممن يدرسون في الأزهر ثم في المدرسة القمحية وكان الشيخ نجم الدين الخبوشاني يدرس في المدرسة الصلاحية، وكلاهما أسسها صلاح الدين، وأوقف عليها الوقوف، واختلفت رواتب المدرسين بين الكثرة والقلة بحسب الإحصاء وبحسب ما اشترطه الواقفون لأوقافهم"[2].

"وقد بلغت العناية والرعاية للمدرسين، أن كثيراً من الوقفيات بلغت الرواتب في البعض منها 60.000 ستون ألف درهم، بل تجاوزته سنوياً.

كما أنه قد خصصت للمدرسين مخصصات انتقال، وللإنفاق على الخيول والبغال التي تنقلهم بين مراكز سكناهم ومراكز تدريسهم، كما يجري عليه الأمر في وقتنا الحاضر كل ذلك لأجل إشعار الأساتذة بالرعاية والعناية في سبيل تشجيعهم على الإنتاج العلمي والفقهي، وتنمية قدرات طلابهم"[3].

"وكان يتم ذلك من أموال الأوقاف التي يتم وقفها على المدارس وما يلزمها والعاملين فيها والدارسين والمعلمين، وقد كان في السابق لا تُنشأ مدرسة إلا ويوقف من أوقافها أوقاف أخرى

(1) انظر: نشأة الكليات- معاهد العلم عند المسلمين – جورج المقدسي- ترجمة- محمد سيد أحمد-ص 185- 1413هـ.
(2) سير أعلام النبلاء- محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي- 8/ 387، 442-ط9 - بدون تاريخ-مؤسسة الرسالة- بيروت.
(3) انظر: الدور الاجتماعي للوقف د. عبد الملك أحمد السيد-ص 236-237.

عليها، وبعض هذه الأوقاف يكون حول المدرسة، إن كان سوقاً أو دكاكين وقد يوقف للمدرسة مساكن أو دكاكين خارج نطاقها.

وقد تكون أوقاف المدرسة مزارع في ضواحي المدينة التي فيها المدرسة كما هو حال المدرسة الغياثية البنجالية بمكة، وقف عليها مزارع في مر الظهران (وادي فاطمة) وربما تكون أوقاف المدرسة في مدينة أخرى، كالمدرسة القمحية بالقاهرة، فلها أوقاف في الفيوم من أرض مصر "[1].

"كما أن الظاهر بيبرس حرص على تأسيس أوقاف مدرسته، قبل الشروع في بنائها"[2].

المبحث الرابع : نماذج من مدارس التعليم الشرعي الوقفية

"انتشرت المدارس الوقفية في حواضر العالم الإسلامي، وقد كان جهابذة العلماء والدعاة يدرسون في تلك المدارس، فنبغ طلاب كثيرون في شتى مجالات العلم، وأصبحوا علماء بارزين، أسهموا في نشر الإسلام. وهذه بعض نماذج للمدارس الوقفية:-

1- المدرسة الصالحية: بمصر أول مدرسة درست المذاهب الأربعة بمصر، أنشأها الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة 641هـ على غرار المستنصرية ببغداد وأوقفت عليها أوقاف ضخمة"[3].

2- المدرسة الظاهرية: التي أنشأها الظاهر بيبرس في القاهرة سنة 626هـ وأوقف عليها المال وأغدق عليها مما جعلها أجمل مدرسة في مصر، وخصص لها مكتبة ضخمة تحتوي على سائر العلوم.

3- المدرسة المعتصمية في بغداد، أنشأتها السيدة شمس الضحى- حفيدة السلطان صلاح الدين الأيوبي، أنشأتها في منطقة الأعظمية، قرب جامع الإمام أبي حنيفة" [4].

4-المدرسة المنصورية في مصر، أنشأها المنصور بن قلاوون سنة 683هـ وتخصصت في تدريس الطب بالدرجة الأولى، وأوقف عليها و على القبة المنصورية التي هي مرصد فلكي أوقافاً واسعة من الحوانيت والأطيان.

5- المدرسة المسعودية ببغداد بناها مسعود الشافعي، وجعلها وقفاً على المذاهب الأربعة بجانب تدريس العلوم الطبية والطب.

6- المدرسة الجمالية بمصر التي أنشئت سنة 811هـ وأوقفت لها الأوقاف، واحتوت على أنفس المصاحف المخطوطة، خاصة تلك التي كتبها الخطاط الشهير ابن البواب.

7-المدرسة الغياثية، أو مدرسة الملك المنصور بمكة المكرمة، بناها المنصور غياث الدين إذ أنشئت في 813هـ وأوقفت عليها أموال جليلة.

---

(1) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار "الخطط المقريزية"- المقريزي - 364/3.
(2) المرجع السابق 378/2.
(3) المرجع السابق 364/3.
(4) أصالة حضارتنا العربية- ناجي معروف -ص 462-ط3-1975م- دار الثقافة - بيروت.

8- المدارس الأربعة بمكة المكرمة، التي بناها السلطان سليمان القانوني سنة 927هـ وأوقفت عليها أموال طائلة لتدريس المذاهب الأربعة"[1].

وبعد فهذه مجرد نماذج محدودة ومختصرة عن بعض المدارس الوقفية التي كان العلماء والباحثون يتصدرونها ويقومون عليها ويحكمون أمورها حسب شروط الواقف.

ومن خلال هذا العرض يتبين بجلاء أن الوقف أسهم بشكل كبير على مر العصور في ازدهار التعليم الديني في العالم الإسلامي، وأسهم في نهضة الأمة الإسلامية وتقدمها.

الخاتمة

وتتضمن أهم النتائج والتوصيات:

- النتائج:

1- إسهام الوقف في دعم المجالات الاجتماعية المختلفة في البلاد الإسلامية، ساعد على تخفيف العبء عن الدولة آنذاك.

2- قيام الوقف بوظيفة عظيمة حيال التعليم الديني على مر العصور الإسلامية.

3- كان للوقف أثر في انتقال ورحلة طلاب العلم إلى أقطار العالم، حيث وفر الوقف احتياجات العلماء وطلاب العلم، من المأكل والمشرب والملبس والمسكن ووسائل الانتقال، والمكتبات وكافة الاحتياجات، الأمر الذي هيأ المناخ العلمي المناسب.

4- أثَّر الوقف في صيانة كرامة العلماء وطلاب العلم والدعاة إلى الله تعالى ومساهمته في استقلالهم، حيث قام الوقف بتوفير كافة الاحتياجات المادية وتأمينها، الأمر الذي عزز مكانتهم في المجتمع وساعدهم على القيام بواجباتهم نحو مجتمعاتهم.

- التوصيات :

1- العناية بالوقف على مؤسسات التعليم عامة، ومؤسسات التعليم الديني خاصة ؛ لما لها من أثر في حفظ تراث الأمة وهويتها الإسلامية.

2- القيام بحملات إعلامية تهدف لتوعية أفراد المجتمع بأهمية الوقف وفضله، وتنوع مصارفه.

3- أن تتبنى الحكومات الإسلامية التشجيع على الوقف وتذليل كافة الصعوبات والعراقيل أمام الواقفين.

4- عقد المؤتمرات والندوات العلمية التي تعنى بالوقف ومصارفه المتجددة.

(1) انظر: المدارس الشرابية- ناجي معروف- ص391 – بدون رقم طبع-1961م – مطبعة العاني- بغداد.